
سلسلة
هندسة الصراع الهجين
نحو رؤية تفكيكية للصراع المهندس والهشاشة البنوية المُدارة
الأمن القومي في عصر اللايقين
"الدولة - المجتمع - الإنسان"
فهم الظاهرة
تحليل البنية وتشخيص الهشاشة البنيوية
فهم الآليات
مسارات الضغط وديناميات التصعيد
فهم التحول
ديناميات التصعيد إلى الانهيار البنيوي
فهم الاستجابة
التصميم والتحييد الاستراتيجي
من التحليل إلى التجديد الاستخدام
رؤية استراتيجية متكاملة
منظور متعدد المستويات
الدولة - المجتمع - الإنسان
نماذج تحليلية ورؤية استراتيجية
أدوات تحليلية متقدمة ونماذج تفسيرية
من التحليل إلى التحييد الاستراتيجي
من الفهم إلى التصميم
من التحليل إلى التحييد
الدولة
المجتمع
الإنسان
من الفهم إلى التحليل ... ومن التحليل إلى التصميم ... ومن التصميم إلى التحييد الاستراتيجي
1
الإطار النظري للتهديدات الهجينة
من التشظي المفاهيمي
إلى منطق التهديد المنظومي
د. يحيى عطوة الزنط
الباحث في الإدارة الاستراتيجية والأمن القومي
تأسيس المفهوم . تحليل البنية . فهم التهديد الهجين
رؤية استراتيجية
من الفهم إلى التصميم
من التحليل إلى التحييد الاستراتيجي
2
الحرب الهجينة
وديناميات التصعيد
من الضغط الموزع
إلى الانهيار البنيوي المنظومي
د. يحيى عطوة الزنط
آليات التحليل . مسارات الضغط . تفكيك الدولة
نماذج تحليلية ورؤية الاستراتيجية
نماذج تحليلية متقدمة
3
هندسة
الصراع الهجين
البنية المنظومية لإدارة الهشاشة
والتحييد الاستراتيجي
د. يحيى عطوة الزنط
الباحث في الإدارة الاستراتيجية والأمن القومي
نموذج نظري متكامل لكيفية إنتاج الهشاشة والتحييد في عصر الصراع المهندس
منظور متعدد المستويات
الدولة - المجتمع - الإنسان
التكامل بين البنية المادية والمعرفية
منظور متعدد المستويات
الدولة - المجتمع - الإنسان
التكامل بين البنية المادية والمعرفية
أدوات عملية تطبيقية
آليات التحليل . مسارات الضغط
نماذج تحليلية ورؤية استراتيجية
نماذج تحليلية متقدمة
أطر تفسيرية . نماذج قياس
مصفوفات . خرائط معرفية
رؤية استراتيجية متكاملة
إطار شامل لفهم الصراع الهجين
بأبعاده ومجالاته ومستوياته
فهم أعمق ... تحليل أدق ... تصميم أمثل ... تحييد مستدام

توطئة: سلسلة هندسة الصراع الهجين: نحو رؤية تفكيكية للصراع المهندس والهشاشة البنيوية المُدارة: الأمن القومي في عصر اللايقين "الدولة-المجتمع -الانسان"

المؤلف: د. يحيى عطوة الزنط
الباحث في الإدارة الاستراتيجية والأمن القومي
https://orcid.org/0009-0007-0146-0585

August 3, 2026

لم تكن هذه السلسلة وليدة فضولٍ أكاديمي عابر، ولا ترفاً نظرياً يُمارَسه الباحث في عزلة البرج العاجي، بل كانت مخاضاً وجودياً بكل ما تحمله الكلمة من ثقلٍ ميتافيزيقي؛ صراعاً عقلياً ونفسياً حقيقياً خاضه المؤلف في أتون ما شهدته المنطقة العربية من زلازل كبرى عُرفت فيما عُرفت بـ"الربيع العربي". ففي تلك اللحظة التي تصدّعت فيها القارّات الصلبة لليقين، وجد الباحث - وهو أحد رجال الأمن الذين خَبِروا الميدان قبل أن يخبِروا النظرية، فذاقوا غبار الحقيقة قبل أن يستنشقوا عبق التجريد - نفسه أمام مشهدٍ مركّبٍ ومؤلم، أقرب إلى لوحةٍ تستحضر أجواء الانهيار الشامل وانكشاف ما كان مستوراً، منها إلى تقريرٍ سياسيٍّ بارد: دولٌ تتصدع من الداخل كما يتصدع الفخّار حين يُحرَق فوق طاقته، ومجتمعاتٌ تتفكك أواصرها كما تتفكك الروابط الذرية في انفجارٍ صامت، وأفرادٌ يفقدون بوصلتهم النفسية والأخلاقية في آنٍ واحد، تحت غطاء شعاراتٍ رُفعت باسم التغيير والحرية والكرامة فباتت أقنعةً لِما لم يكن يُراد إعلانه. ولم يكن المؤلف بمنأى عن هذا الزلزال الوجودي؛ فقد عاشت مصر، شأنها شأن غيرها من دول الربيع العربي، تداعياتٍ سياسيةً واقتصاديةً واجتماعيةً وثقافيةً عميقة الغور، تركت في وجدان كل من عاصرها أسئلةً لم تُطرح من قبل بهذا الإلحاح الوجودي، ولا بهذه الحدّة التي تُشبه صرخة كائنٍ يكتشف فجأة هشاشة الأرض التي يقف عليها.

ومن رحم هذه المعايشة المباشرة - لا من صفحات الكتب وحدها، بل من لحم الحدث ودمه - نشأ السؤال الذي حمل الباحث لواءه سنواتٍ طويلة: هل كانت هذه الثورات فعلاً انفعالياً عابراً، ورجّة جماهيرية آنية سرعان ما ابتلعها النسيان؟ أم أنها حملت في جوهرها إمكانية أعمق، إمكانية التحول الحقيقي، ذلك التحول الذي يُعيد صياغة الكينونة قبل أن يُعيد صياغة الخرائط؟ وهنا استحضر الباحث ما ذهب إليه **غوستاف لوبون** (Gustave Le Bon) في كتابه "سيكولوجية الثورة"، حين وسّع مفهوم الثورة (Revolution) ليشمل كل تحولٍ مفاجئ في المعتقدات والأفكار والعقائد، لا التغيير السياسي وحده، مميزاً بين الثورات العلمية النابعة من عناصر عقلانية خالصة يقبلها الناس دون جدال لخضوعها لمحك التجربة، وبين الثورات السياسية والدينية القائمة على أسسٍ عاطفية وغيبية لا رابط لها بالعقل (Le Bon, 1913). وكان هذا التمييز الشرارة الأولى التي أضاءت للباحث عتمة تساؤله: لماذا تحولت ثوراتٌ كان يُرجى منها أن تكون تحولاً جذرياً في الفكر والثقافة والوعي الجمعي، إلى مجرد تغييراتٍ سياسية واجتماعية سطحية، بل أفضت في كثيرٍ من الأحيان إلى هدم الدول ذاتها بدلاً من إصلاحها، كمن يحرق الهيكل ليدفئ يديه ليلةً واحدة؟ فالباحث على يقينٍ - ولا يزال، بل ازداد يقينه رسوخاً - من أن الثورة الحقة ليست فعل هدم، بل فعل بناءٍ وتنمية؛ وليست غايةً في ذاتها، بل جسراً نحو نهضةٍ فكرية وثقافية تسبق أي تغيير سياسي أو مؤسسي، إذ لا تُبنى الأمم على أنقاض وعيها.

ولم يكن القلق الذي انتاب الباحث انفعالاً عابراً يزول بزوال حدثه، بل كان - في جوهره - قلقاً وجودياً (Existential Anxiety) بالمعنى الفلسفي الدقيق، أقرب إلى ما وصفه **مارتن هيدغر** (Martin Heidegger) في كتابه "الوجود والزمان" بـ"القلق" (Angst)، بوصفه - خلافاً للخوف (Furcht) المرتبط بموضوعٍ محدد يمكن تحديد ملامحه ومواجهته - حالةً لا تتعلق بشيءٍ بعينه، بل بـ"العدم واللا-مكان" الذي يجعل العالم كله فجأةً عديم المعنى، معلّقاً في فراغٍ لا قرار له (Heidegger, 1962, p. 233). فحين تأمل الباحث مآلات مصر وسوريا ولبنان واليمن وليبيا والسودان وغيرها، لم يرَ أمامه حوادث سياسية منفصلة تخص كل دولة بذاتها، بل رأى نمطاً واحداً متكرراً، أشبه بلحنٍ جنائزي يُعزَف بآلاتٍ مختلفة على مسارح متعددة: دولاً تُستنزف من الداخل حتى تفقد قدرتها على حماية حدود هويتها قبل حدودها الجغرافية، ومجتمعاتٍ تُدفع نحو الانقسام الأهلي حتى تعجز عن التوافق على الحد الأدنى من القيم المشتركة، وأفراداً يُصبحون وقوداً لصراعاتٍ لا يملكون فيها قراراً ولا يفهمون لها غاية، كأوراقٍ تُذريها ريحٌ لا تعرف مصدرها. وما زاد من حدة هذا القلق أن الظاهرة لم تعد حبيسة الإقليم العربي وحده؛ فأوروبا ذاتها، التي طالما قُدِّمت نموذجاً مستقراً لمؤسسات الدولة الحديثة وقلعةً حصينة للعقلانية السياسية، باتت تشهد تصدعاتٍ في نسيجها الاجتماعي والسياسي، وأفريقيا تغرق في دواماتٍ من الانقلابات والحروب الأهلية والتدخلات الخارجية المتشابكة. وهنا تبلور سؤالٌ يحمل في طياته قلقاً فلسفياً عميقاً، أقرب إلى صرخة أيوبية أمام معضلة الشر المُمنهَج: كيف أصبح العالم على هذه الحال؟ وهل ثمة منطقٌ خفي يُفسر هذا التزامن العالمي في الهشاشة، أم أن الأمر محض تراكمٍ عشوائي لأزماتٍ متفرقة لا رابط بينها، فوضى بلا نظام كامن؟

قاد هذا التساؤل الباحث إلى التدقيق في طبيعة الفواعل (Actors) المحركة لهذا المشهد، فتبيّن له أن الفاعلين لم يعودوا مقتصرين على الدول ذات السيادة كما تصورهم النظريات الكلاسيكية في العلاقات الدولية، بل اتسع المشهد - كما يتسع الأفق حين يُرفع الستار عن مسرحٍ أعمق - ليشمل فواعل من غير الدول (Non-State Actors)، تحركت بمرونةٍ تفوق كثيراً مرونة الدول ذاتها، مستغلةً

الفراغات المؤسسية والهشاشة المجتمعية كما يستغل الماء أدنى شقٍّ في الجدار. وفي مقدمة هذه الفواعل تبرز الجماعات المسلحة الإرهابية ذات الأيديولوجيات المتطرفة، التي لم تكتفِ بزعزعة الاستقرار الأمني التقليدي، بل تجاوزته إلى استهدافٍ أعمق وأخطر: اختراق منظومة القيم الإنسانية والثوابت الدينية ذاتها، ومحاولة الاستيلاء على الخطاب الديني وتحريفه عن سياقه السمح، خدمةً لمشروعٍ أيديولوجي مغلق لا علاقة له بجوهر الدين ولا بمقاصده الأصيلة في الرحمة والعدل والعمران، بل هو استلابٌ للمقدس واستخدامٌ له قناعاً للمدنَّس.

ومن جانبٍ آخر، أدرك الباحث - بحكم خبرته الأمنية الميدانية، وبتلك البصيرة التي لا تُمنَح إلا لمن وقف على حافة الحدث لا خلف مكتبه - مفارقةً جوهرية ظلّت كامنةً في صميم الممارسة الأمنية كجرحٍ غير مُشخَّص: فنحن، كرجال أمن، تعلّمنا طويلاً كيف نُحقق الأمن ونصونه ونستعيده حين يُهدَّد، غير أننا لم نتعلم بالقدر نفسه من العمق أسئلةً أكثر جذرية: مَن الذي يهدد أمننا؟ وكيف يُنتَج التهديد ضد الآخرين؟ ولماذا تُنتج بعض الدول مشاعر الخوف وعدم اليقين لدى دولٍ ومجتمعاتٍ أخرى، كمن يُتقن صناعة الظلام ليبيع بعده ضوءاً مصطنعاً؟ ومن هنا انتقل تساؤل الباحث من إدارة الأمن إلى فهم التهديد ذاته؛ من سؤال "**كيف نحمي الأمن؟**" إلى سؤالٍ أكثر تأسيساً، أقرب إلى السؤال الأنطولوجي بامتياز: "**كيف يُصنع ما نحتاج إلى الحماية منه أصلاً؟**" - وهي نقلةٌ لا تتعلق بتوسيع موضوع الدراسة فحسب، بل بإعادة النظر في نقطة البدء المعرفية ذاتها، بانقلابٍ كوبرنيكي صغير في ميدان الأمن: فبدل أن يُؤخذ التهديد معطًى سابقاً على التحليل، ثابتاً كالنجوم، يصبح التحدي العلمي هو الكشف عن الكيفية التي يتشكل بها ويُدرَك ويُؤَطَّر ويتحول إلى فعلٍ سياسي وأمني واجتماعي.

وحين حاول الباحث أن يتلمس مسمّىً علمياً راسخاً يؤطّر هذه الإشكالية، تبيّن له أن هذا المسعى لا يزال - في أفضل تقدير - في مرحلة تشكّلٍ معرفي مبكرة، أشبه بقارةٍ لم تكتمل رسومها على الخرائط بعد؛ ففكرة بناء "**دراسات التهديد**" (Threat Studies) بوصفها مجالاً بحثياً أكثر تمايزاً داخل فضاء العلاقات الدولية والدراسات الأمنية لا تزال حديثة العهد، ولم تبلغ بعد درجة النضج المؤسسي التي تسمح بالتعامل معها حقلاً معرفياً مستقلاً. ومع ذلك، برزت محاولاتٌ حديثة تسعى إلى تجاوز المقاربات التقليدية التي تتعامل مع التهديد معطًى قائماً، نحو مساءلة كيفية بنائه وإدراكه وتأطيره وتعبئته سياسياً واقتصادياً واجتماعياً (Sever, 2025 & Uygur). وفي هذا السياق، تكتسب استعارةٌ طرحها Sever وUygur قيمةً تفسيرية بالغة العمق: **فإذا كانت "الدراسات الأمنية" تُعنى بما يظهر من التهديدات عند سطح الظاهرة، حيث ترتطم أعيننا بقمة الجبل الجليدي البارزة فوق الماء، فإن "دراسات التهديد" تغوص إلى البنية الأعمق التي تجعل ذلك الظهور ممكناً ومؤثراً؛** أي إنها لا تكتفي بقمة الجبل، بل تنزل إلى أعماقه المظلمة، إلى ذلك الجزء الهائل الغائب عن الأبصار والذي يسبق الظاهر ويفسره ويمنحه قدرته على التأثير (Sever, 2025 & Uygur). ولا تكمن أهمية هذا التحول في استحداث تسميةٍ معرفيةٍ جديدة، بقدر ما تكمن في تغيير زاوية النظر ذاتها، بانقلابٍ في موضع الرؤية بأسره: من دراسة الأمن حالةً ينبغي الحفاظ عليها كما تُحفَظ جذوة نارٍ من الانطفاء، إلى دراسة التهديد عمليةً قابلةً للهندسة والإنتاج والإدراك والتأطير والتوظيف، أي سيرورةً حيّة لا كياناً جامداً. ومن ثمّ، فالسؤال

لا يعود مقتصراً على "كيف نواجه التهديد؟"، بل يمتد إلى: **كيف يتكوّن التهديد قبل أن يصبح موضوعاً للمواجهة؟ ومن يملك القدرة على إنتاجه، وتوجيه إدراكه، وتحديد توقيته، وتوسيع آثاره؟**

ومن هذه النقطة تحديداً يبدأ المسار الذي يقود إلى الإشكالية الأوسع لهذه السلسلة، إلى ذلك السؤال الذي يقف على حافة الهاوية المعرفية: إذا كان التهديد يمكن أن يُهندس ويُنتَج ويُدار ويُوظَّف، فهل يمكن أن يتحول، في سياقاتٍ معينة، من مجرد أداةٍ للضغط إلى عمليةٍ مقصودة لإعادة تشكيل بيئة الصراع ذاتها، أي من وسيلةٍ في يد الفاعل إلى غايةٍ تُعاد بها صياغة الواقع نفسه؟

وليس هذا التساؤل الجوهري - كيف يُصنَع التهديد، ومن يقرر تصنيف فعلٍ بعينه تهديداً يستوجب استجابةً أمنية - تساؤلاً مستحدَثاً طارئاً على تفكير الباحث، بل هو امتدادٌ عضوي مباشر لإشكاليةٍ بحثية سابقة تناولها بنفسه، حين ساءل الحدود الفاصلة بين ممارسة حرية الاجتماع والتظاهر بوصفها حقاً مكفولاً، وبين توظيف اعتبارات الأمن القومي لتقنين هذا الحق وتنظيمه أو تجريمه (الزنط، ٢٠٢٠). غير أن هذا الحقل الوليد، على أهمية إرهاصاته، ظل حتى الآن أسير مقاربةٍ عامة لظاهرة "التهديد" بمعناها الواسع، دون أن يتوغل إلى الخصوصية البنيوية لصناعة الخوف والتهديد في سياقها الهجين والمركّب الذي تُعنى به هذه السلسلة، وكأن الطريق قد شُقّ حتى منتصفه، وبقي على الباحث أن يكمل ما تبقى من الدرب نحو العمق.

وسعياً وراء إجابةٍ تتجاوز الانطباع الأولي إلى التأصيل العلمي الرصين، عاد الباحث إلى مكتبته الخاصة كما يعود التائه إلى منارته، وأعاد قراءة الأدبيات المرجعية في الأمن القومي والدراسات الاستراتيجية والفلسفة السياسية والاجتماعية والإنسانية التي تقوم عليها الأفكار التأسيسية لهذا الحقل المعرفي. وفي هذا السياق، تجدد تعارف الباحث مع **نوربرت وينر** (Norbert Wiener) في علم التحكم الآلي - السيبرانتيكس (Cybernetics)، وعاد إلى علوم النظم التأسيسية، الاجتماعية منها والإنسانية، واطّلع من جديد على وقائع **مؤتمرات ماسي** (Macy Conferences)، وتتبّع كيف انتقلت المفاهيم الرياضية والهندسية والتقنية من رحاب العلوم الصرفة إلى فضاء العلوم الاجتماعية والإنسانية، في هجرةٍ مفهومية غيّرت وجه العلم الاجتماعي بأسره، وكيف بدأت فكرة التحكم والسيطرة (Control) تتبلور تدريجياً: **من الآلة إلى الدول، ومن الدول إلى المجتمعات، ومن المجتمعات إلى الإنسان ذاته**، في تدرجٍ يُشبه انزلاق الظل الذي يتسع شيئاً فشيئاً حتى يبتلع النور كله. وقد حذّر وينر نفسه من هذا المآل، حين وصف تحويل الإنسان إلى مجرد أداةٍ وظيفية بأنه استخدامٌ له "كتروسٍ وروافع وقضبان" (cogs and levers and rods) لا ككائنٍ ذي كرامةٍ وحقٍ كامل (Wiener, 1954, p. 185) - تحذيرٌ يحمل في طيّاته نبوءةً مبكرة لم يُصغَ إليها كما ينبغي.

ولم يتوقف الباحث عند وينر وحده في هذا المسار السيبراني، بل امتد إلى **فلاديمير ليفيفر** (Vladimir Lefebvre)، الذي طوّر - انطلاقاً من الأساس السيبراني ذاته - نظريةً أكثر تخصصاً في هندسة الإدراك، عُرفت بـ"نظرية التحكم الانعكاسي" (Reflexive Control Theory)، ومفادها أن الفاعل يمكنه أن يهندس القاعدة المعرفية التي يبني عليها خصمه قراره، بحيث يختار الخصم -

بمحض إرادته الظاهرية، وهو يظن نفسه سيد قراره - البديل الذي يخدم مصلحة الفاعل الأول، دون أن يدرك أنه انساق إلى قرارٍ مصنوعٍ سلفاً، كخيطٍ يُحرِّك من خلف الستار بينما تظن الدمية أنها ترقص بإرادتها (Lefebvre, 1992). وما هذه النظرية، في جوهرها الرياضي والنفسي، إلا صياغة معاصرة، بلغة الحوسبة والاحتمال، لحكمةٍ أزلية أرساها **صن تزو** (Sun Tzu) في كتابه "فن الحرب" قبل أكثر من أربعةٍ وعشرين قرناً، حين قرر أن "كل الحرب خداع" (Sun Tzu, 1963)، وأن قمة المهارة العسكرية لا تكمن في إخضاع جيش العدو في المعركة، بل في كسر إرادته وتوجيه إدراكه قبل أن تندلع المعركة أصلاً، بل قبل أن يشعر العدو بأن معركةً قد بدأت. فبين **صن تزو وليفيفر** أكثر من أربعةٍ وعشرين قرناً من الزمن، مسافةٌ تعبر التاريخ كله، لكنهما يلتقيان عند جوهرٍ واحد لا يبليه الزمن: أن السيطرة الحقيقية لا تُمارَس على أفعال الخصم، بل على الصورة التي يرى بها العالم قبل أن يتصرف فيه؛ إذ من يملك عين الخصم، يملك خطاه. وهو الجسر النظري الذي مهّد لاحقاً أمام تطبيقات "**التحكم الانعكاسي**" في العقيدة العسكرية الروسية المعاصرة (Thomas, 2004)، وهي التطبيقات التي ستتناولها هذه السلسلة بالتفصيل في مواضعها اللاحقة.

وبالتعمق أكثر، تبيّن للباحث أن هذه الأسئلة لم تكن يوماً وليدة اللحظة الراهنة وحدها، بل ظلت على الدوام محط اهتمام الفلاسفة والعلماء، صدىً متردداً عبر ممرات التاريخ الفكري؛ **فأفلاطون** (Plato)، في أسطورة الكهف الواردة في "الجمهورية"، صوّر سجناء مقيدين لا يرون سوى الظلال المتحركة على الجدار، حتى إنهم يحسبون تلك الظلال هي الحقيقة عينها، بل إن من يحاول تحرير أحدهم وقيادته نحو النور، فإن رفاقه في الكهف قد يقتلونه إن أمكنهم ذلك (Plato, Republic, Book VII, 514a-520a) - وهي استعارةٌ نافذة، لم يخفت بريقها رغم مرور خمسةٍ وعشرين قرناً، لمقاومة العقول المُهندَسة لأي محاولة تحررٍ فكري. **وأرسطو** (Aristotle)، في كتابه "السياسة"، أرسى مقولته الخالدة بأن الإنسان "حيوانٌ سياسي بطبعه" (Aristotle, Politics, Book I, 1253a)، ليُذكِّر بأن استهداف الإنسان استهدافٌ لطبيعته الاجتماعية-السياسية ذاتها، لا لفردٍ معزولٍ عن نسيجه الجمعي، إذ لا إنسان خارج المدينة إلا وحشٌ أو إله. أما **سقراط**، فقد ظل - عبر طريقته الجدلية في التساؤل والتفكيك، تلك الحِرفة التي أودت بحياته ثمناً لحرية عقله - النموذج الأول لمن يواجه "قابلية" العقول الجمعية للانصياع دون تفكير، وهي المعضلة ذاتها التي يعالجها هذا الكتاب من زاويةٍ معاصرة. ثم انتقلت هذه الأفكار مع عصر التنوير عبر هيجل وكانط ونيتشه وهيدغر، في سلسلةٍ متصلة الحلقات من التأمل في مصير الإنسان وحريته، حتى تبلورت في منتصف القرن العشرين نظريات النظم العامة (General Systems Theory)، والإدارة الاستراتيجية، وعلوم الأمن القومي بمفهومها المعاصر.

وإذ استعان الباحث بهذا الإرث الفلسفي الغربي، فإنه لم يُغفل الإرث الفكري العربي الذي عالج جانباً لا يقل أهمية، بل ربما فاقه غوراً، من هذه الإشكالية: كيف تتهيأ الذات الجمعية داخلياً لقبول الاختراق قبل وقوعه، وكيف يُفتح الباب من الداخل قبل أن يُطرَق من الخارج؟ **فمالك بن نبي**، في كتابه "شروط النهضة"، أرسى مفهوم "القابلية للاستعمار"، مؤكداً أن الاستعمار ليس من صنع السياسيين وأفعالهم وحدهم، بل نابعٌ من النفس ذاتها التي تقبل الخضوع له وتمكّن له في أرضها، وأن التحرر منه لا يكون بالخطابة، بل بتحولٍ نفسي داخلي يستعيد به الفرد كرامته الاجتماعية (بن نبي، د.ت). و**هشام شرابي**، في كتابه "النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي"، طوّر مفهوم "الأبوية المستحدثة" (Neopatriarchy)، موضحاً أنها نتاج اقتران الإمبريالية بالبنية الأبوية التقليدية،

مما أنتج مجتمعاتٍ هجينة لا تنتمي إلى الأصـــالة ولا إلى الحداثة، بل تقف معلّقةً بين عالمين لا تملك مفتاح أحدهما (شـرابي، النظام الأبوي، ص٣٣). **وجورج طرابيشــي**، في مشـروعه النقدي الممتد "نقد نقد العقل العربي"، قدّم نموذجاً منهجياً في تفكيك البنى الفكرية وإعادة بنائها على أسـسٍ أكثر دقة، منتهياً إلى أن العقل العربي الإســلامي يشـــكل - رغم تعدد مشـــاربه البيانية والبرهانية والعرفانية - نظاماً معرفياً واحد المركز (طرابيشي، وحدة العقل العربي الإسلامي).

وفي زمننا الراهن، مع **الثورة الصـــناعية الرابعة** (IR٤) وطوفان المعلومات والبيانات الضـــخمة وتقنيات معالجتها ونشـــرها، وجد الباحث أن الأزمة التي عاشـــتها بلاده وأمته في مطلع العقد الثاني من الألفية الثالثة لم تكن سوى فصلٍ من فصول ظاهرةٍ أعمّ وأشمل، ملحمةٍ لم تُطوَ صفحاتها بعد، ما زالت فصـــولها تُكتب حتى اللحظة الراهنة في ســـوريا ولبنان واليمن وليبيا، وتتردد أصـــداؤها في أوروبا وأفريقيا: دولٌ تُصاب بالتشتت، ومجتمعاتٌ تُصاب بالتفكك، وإنسانٌ يُصاب بالارتباك والضياع، كسفينةٍ فقدت بوصلتها في عرض بحرٍ لا شاطئ له.

من هذا كله، جاءت هذه السلسلة محاولةً جادة للتعرف على كيفية تفكير الفاعلين الأمنيين - دولاً كانوا أم غير دول - في هدم دولنا ومجتمعاتنا، بل وفي اختراق الإنســـان ذاته من الداخل، من ذلك الموضع السري الذي لا تصله عين الحارس. ولم يعد السؤال البحثي مقتصراً على "من يستهدفنا؟"، بل امتد ليشـــمل: بأي أدواتٍ تتم عملية الاختراق؟ وبأي وســـائل تُهندَس؟ وكيف تنتقل من الفكرة إلى الفعل، ومن الاختراق المعرفي إلى التفكك المؤســـســـي والاجتماعي؟ إننا، بكل ما تحمله الكلمة من ثقل، نعيش لحظةً حاســـمة وفارقة في تاريخ أمتنا، لحظةً تتقاطع فيها كل الاحتمالات عند نقطةٍ واحدة، عند مفترق طرقٍ لا رجعة منه: أن نكون، أو لا نكون. وقد اســـتلهم الباحث في صـــياغة هذا الإدراك ما ذهب إليه الرئيس **عبد الفتاح السيسـي**، رئيس جمهورية مصر العربية، في تصـريحاته عام ٢٠١٥، من أن ما تواجهه مصر والأمة العربية هو **"حرب وجودٍ وليسـت حرب حدود"** (السيسـي، ٢٠١٥) - المعنى ذاته الذي وظّفه الباحث مبكراً في تحليله لظاهرة الاختراق الفكري والإلكتروني المســـتهدف للشـــباب (الزنط، د.ت)، قبل أن يتطور هذا الإدراك المبكر إلى الإطار النظري المتكامل الذي تقدمه هذه السـلسـلة. فالحروب المعاصـرة، كما تكشـف تجلياتها في محيطنا العربي، لم تعد تُرسَـم على الخرائط وتُحسـم بالجيوش وحدها، بل تســـتهدف - في جوهرها العميق - كينونة الدولة ذاتها، وهوية المجتمع، ومعنى الإنسان؛ إنها حربٌ على الكينونة قبل أن تكون حرباً على الجغرافيا.

ومن هذا الإدراك تنطلق هذه السلسلة، لا بوصفها تشخيصاً أكاديمياً بارداً يُقرأ بعين المتفرج، بل محاولةً لفهم آليات هذه الحرب الوجودية، تمهيداً لبناء وعيٍ قادرٍ على مواجهتها؛ إذ إن الإدراك الوجداني وحده - مهما بلغت صـــدقيته وحرارته - لا يكتمل ما لم يتحول من شـــعورٍ إلى منهج، ومن قلقٍ إلى ســـؤالٍ قابلٍ للبحث والتحليل، إذ لا يُهزَم الظلام بالحزن عليه، بل بفهم طبيعته. فمعرفة أن **الدولة والمجتمع والإنسان** مستهدفون في كينونتهم لا تكفي وحدها لفهم كيف يتم هذا الاستهداف، ولا بأي أدواتٍ يُدار، ولا وفق أي منطقٍ يتكرر عبر الزمان والمكان. ومن هنا، تنتقل هذه الســلســلة من مقام التأمل الفلسـفي إلى مقام التأسـيس المنهجي، لتطرح سـؤالها البحثي المركزي، ذلك السـؤال الذي هو في جوهره سؤال العصر: هل ثمة منطقٌ بنيوي واحد يحكم هذا التحول من الصراع التقليدي إلى الصراع الهجين المعاصر؟ وإن وُجد هذا المنطق، فكيف يمكن تفكيكه وفهمه ومواجهته؟

وإذ ينتقل القارئ من مقام هذا التأمل الوجودي إلى صفحات هذه السلسلة، فإن ثلاثة محاور تحليلية ستتكشف تباعاً بوصفها الترجمة التشغيلية لكل ما تقدم من طرحٍ فلسفي: **أولها**، أن الصراع الهجين المعاصر يتجاوز الحدود التقليدية الفاصلة بين الأداة العسكرية وغيرها، ليدمج القوة الصلبة بالقوة الناعمة، والفضاء السيبراني بالأداة الاقتصادية، في منظومةٍ واحدة متكاملة التوظيف لا يمكن فهم أيٍّ من مكوناتها بمعزلٍ عن الأخرى. وثانيها، أن الهشاشة البنيوية داخل الدول لم تعد عارضاً يُعالَج، بل غدت في كثيرٍ من الأحيان مساحةً يُستثمَر فيها عمداً، إذ تتحول نقاط الضعف المؤسسية والاجتماعية والاقتصادية من مواطن قصورٍ داخلي إلى مداخل نفوذٍ خارجي وأدواتٍ لتعميق التخلخل. **وثالثها**، أن خطوط المواجهة الواضحة التي عرفتها الحروب التقليدية قد تلاشت، لتحل محلها بيئةٌ يتداخل فيها فاعلو الدول وفاعلوها من غير الدول في إدارة أزماتٍ ممتدة زمنياً، لا تُحسَم بمعركةٍ واحدة، بل تُدار عبر تراكمٍ طويل الأمد يصعب على الأدوات التحليلية التقليدية تتبعه. وهذه المحاور الثلاثة - تكامل الأدوات، واستثمار الهشاشة، وتلاشي خطوط المواجهة - هي بالضبط ما ستتولى فصول هذه السلسلة تفكيكه وتأصيله نظرياً، فصلاً بعد فصل.

القاهرة ٢٠٢٦/٢٠٢٧

السلسلة تحت الطبع